

الإسلام والغرب

اقتراءات لها تاريخ

دراسة حول الإسلام الغربية الأخيرة والإسلام

أ.د. محمد عمارة



الإسلام والغرب

أفترقنا لك لما ياتون

دراسة حول الأساءات الغربية الأخيرة للإسلام

أ.د. محمد عمارة

• **أخبار**
الإسلام والغرب - اختراعات لها تاريخ

• **تأليف:**

د. محمد عمارة

• **السلسلة:**

رسائل الدعاء

• **تأليف:** محمد عبد الله

• **رقم الإصدار:**

٢٠٠٩/٢٠٩

• **الترجمة:** النوي

977-367-120-8

• **جميع الحقوق محفوظة**

يمنع طبع هذا الكتاب، أو جزء منه، بكل شكل من أشكال النسخ والنقل والتوزيع والترجمة والتسجيل الإلكتروني، أو أي شكل آخر، دون إذن من المؤلف.

• **مركز الإعلام العربي**

ص. ب. ٥٢، البرج ٢، الجزيرة، مصر

• **تأليف:** ٢٠٠٩/٢٠٩

• **تأليف:** ٢٠٠٩/٢٠٩

• **الموقع:** على شبكة الانترنت

Home Page: www.Basabul.com

• **البريد الإلكتروني:**

E-Mail: basabul@basabul.com



• **تأليف:** النوي

• **ترجمة:** حسن

• **ترجمة:** حسن

• **ترجمة:** حسن

• **ترجمة:** حسن

• **ترجمة:** حسن

• **ترجمة:** حسن



مقدمة الناشر

تأتي هذه الدراسة للكاتب والمفكر الإسلامي الكبير د. محمد عماردة لتقديم لنا قراءة جديدة لسلسل العداة العربي للإسلام، وهو يوضح في هذه الرسالة أن هذا العداة ليس وليد اليوم، ولكنه عداة قديم متجذر في النفسية والعقلية الغربية.

وتؤكد هذه الدراسة على أن الغرب ليس موقفاً واحداً، وأن عداة للإسلام ليس شاملاً، وأن المشكلة هي مع مشرور اليميننة الغربي ومؤسساته - الدينية والسياسية والإعلامية، وأن هناك من علماء الغرب ومفكره من أنصفوا الإسلام انصافاً متميزاً وممتازاً.



ومركز الإعلام العربي يسعد أن يقدم هذه الدراسة الجادة والمهمة في سلسلة رسائل العداة، لتكون إسهاماً فعلياً وحقيقياً في توعية العقلية الإسلامية، ولتضييق جديداً إلى ساحة الفكر الإسلامي والعمل الدعوي.

مركز الإعلام العربي

هذه الدراسة.. لماذا؟

● إن إنعاش الذاكرة بحقائق الافتراءات الغربية على الإسلام، ووقائع الإهانات الغربية لمقدسات المسلمين، لا تريد به تأجيج نيران الكراهية للإنسان الغربي، ولا إقامة القطيعة مع الحضارة الغربية.. وإنما تريد به تشخيص «الداء» ليكون ذلك هو المدخل الطبيعي والصحي للبحث عن «الدواء».

● إن التعارف، ومن ثم التعايش، الذي يريده الإسلام بين جميع الأمم والشعوب - على اختلاف ألوانها وأجناسها ودياناتها وحضاراتها - لن يصبح في المتناول إلا إذا كشفنا الغطاء عن «القنابل الملقومة» - في الثقافات - التي تحول دون بلوغ هذه الأهداف.

● لقد قال أسلافنا العلماء: «إن كُفِّرَ المقولة لا يعنى كُفِّرَ قائلها».. فقد يكون جاهلاً، أو لديه تأويل - حتى لو كان قاسداً.

ومن ثم: فإن وجود الكثير من الأكاذيب والافتراءات ضد الإسلام في المخزون الثقافي والتراثي الغربي، لا يعنى إدانة الإنسان الغربي.. الذي قد يكون ضحية لهذا التراث من

الأكاذيب والافتراءات.

- إن الهدف من هذه الدراسة هو «المكاشفة»، بتسليط الأضواء على الوقائع التي تسمم العلاقات بين الغرب والإسلام، والتي تجعل الحوار بينهما أشبه ما يكون «بحوار الطرشان».
- إن هذه الدراسة ليست دعوة «لكراهية الغرب»، وإنما هي جهد مخلص لمعالجة جذور «الكراهية» التي تنميتها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام.
- وليس مثل المكاشفة، بالحقائق سبيلاً للسير نحو التعارف وبناء الثقة بين الأمم والثقافات والحضارات.

د. محمد عمارة

القاهرة في المحرم ١٤٢٧ هـ

الموافق: فبراير ٢٠٠٦ م

تمهيد

مشكلتنا، في مواجهة الهجوم على الإسلام، والإساءة إلى رسولنا (ﷺ)، وخاصة تلك التي تتكرر من دوائر سياسية ودينية وإعلامية في الغرب.. أننا نتعامل مع هذه التهجّمات والإساءات تعاملًا غير صحيح، يتسم - في أغلب الأحيان - بالتجزيئية والموسمية والاتصالات، التي سرعان ما تتبخر، مع بقاء المواقف المعادية على حالها، بل ربما هي في تصاعد وازدياد.

وحالاً لهذه المشكلة؛ فإن العقل المسلم، ومؤسسات العلم والإعلام الإسلامية، عليها أن تعي عددًا من الحقائق، التي تمثل ثوابت حاكمة - أو يجب أن تكون حاكمة - لمواقفنا (زاء هذه التهجّمات).

وأول هذه الحقائق، هي إدراك الجدور العميقة للعداء للإسلام عند الآخرين، فمِنذ ظهور الإسلام بدا العداء له، والتهجم عليه، والافتراء على رسوله (ﷺ).

ولقد سجل القرآن الكريم، وسجلت السيرة النبوية هذه الحقيقة، باعتبارها سنة من سنن التدافع بين الحق والباطل، «وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُّوكُمْ مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَقَارِ حِمْلًا

مَنْ عِنْدَ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ (البقرة: ١٠٩) ۖ وَلَا يَرْوُونَ بِمِثْلِهِمُ الْحَقَّ ۚ (البقرة: ٢٢٧) ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفَتُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُخَذُّ بِهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۚ (الأنفال: ١٣١) ۚ يَرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَاللَّهُ يُمِيتُ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۚ (الصف: ٨) ۚ

وصحيح أن هذه الأكاذيب تنتشر في الثقافة الشعبية الغربية - التي تصور المسلمين عبدة للتأليه وتصور رسول الإسلام (ﷺ) كاردينالاً كاثوليكيًا، رشح نفسه في انتخابات البابوية، فلما رتب أحدك انشقاقًا هو الأكبر والأخطر في تاريخ النصرانية إلى آخر مخزون ثقافة الكراهية السوداء في المجتمعات الغربية - إن كان له آخر - لكن، ومع هذا... فإن هناك عددًا كبيرًا من علماء الغرب ومفكره قد قادتهم عقولهم إلى احترام الإسلام، والثناء على حضارته، والإنصاف لتاريخ الأمة الإسلامية.

ولذلك فعليًا أن نواجه الافتراءات الغربية بمشروع فكري تقدم فيه القرب - وعلى نطاق واسع - شهادات هؤلاء العلماء والمفكرين الغربيين، المتصفين للإسلام، وذلك عن باب (وشهد شاهد من أهلها)، فالأمر المؤكد أن هذه الشهادات ستكون أجدى وأفضل في كشف الزيت الذي تمثله حملات العدا والتشويه للإسلام.

والحقيقة الثالثة: هي أن أفكار الجسود والتقليد والعصب والعنف، التي لا تخلو منها مجتمعاتنا الإسلامية، تسلط أعداؤها عليها كل الأضواء، بل وبيد الغور في تصويرها، حتى تغطي على تيار الوسطية والاستتارة والاعتدال في الفكر الإسلامي - وهو التيار الأوسع والأعرض والأعمق -

وذلك لتبويه كامل الصورة الإسلامية، وإخافة الشعوب القريبة من الإسلام، فتخبط وراء حكوماتها الاستعمارية في الحرب على عالم الإسلام.. وفي مواجهة ذلك، علينا أن نقدم للإنسان الغربي مشروعاً للتعريف بالإسلام، لترجم فيه الفكر الوسطي الإسلامي، وأن تقدم هذا المشروع المؤسسات الإسلامية المعروفة بالوسطية والتاريخ العريق - مثل الأزهر الشريف -، وذلك لنقول لهؤلاء الآخرين: هذا هو الإسلام، لمن أراد أن يعرف حقيقة الإسلام.

والحقيقة الرابعة: هي أن هناك علاقة جدلية بين «الدفاع» و«الهجوم»، وإذا كان «الدفاع» غير «الاعتذار»، فإن علينا ونحن ندافع عن الإسلام إزاء التهجمات التي توجه إليه، والإساءات التي توجه إلى رسولنا (ﷺ)، وخاصة عن دوائر الهيمنة - السياسية والإعلامية - الغربية، علينا - ونحن نعرف الآخرين بحقائق سماحة الإسلام وعدالته - أن نتخذ موقف الهجوم على الفكر العنصري والدعوى التي تزخر به الموارث الدينية والحضارية لدى هؤلاء الغربيين الذين يهاجمون الإسلام، والذين يبصرون «القشة» في عيون غيرهم، ويتعامون عن «الأخشاب والأشواك» التي تمتلئ بها عيونهم، وعلى الذين ينتقدون «الخطاب الديني الإسلامي» أن ينظروا - أولاً - إلى خطاباتهم الدينية والثقافية الطافحة بالعنصرية والدموية والاستعلاء والتمركز حول الذات وإنكار

الاعتراف بالآخرين.

كذلك، يجب علينا - ونحن ندافع عن الإسلام، ونرد سهام خصومه - أن نستخدم سلاح الوعي بحقائق التاريخ.. والوعي بحقائق الواقع الذي نعيش فيه. فنذكر الذين يتهمون المسلمين بالعدوانية والإرهاب: أن الشرق قد تعرض لعدوان الغرب واستعمارهم وقهره وتهمه منذ ما قبل الإسلام، وبعد ظهور الإسلام، فالقضية أقدم حتى من الإسلام.

فالأغريق والرومان والبيزنطيون قد احتلوا الشرق وقهروه - حضارياً ودينياً وثقافياً ولغوياً - عشرة قرون.. من الإسكندر الأكبر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق م) - في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١ م) - في القرن السابع للميلاد.

ولما حررت الفتوحات الإسلامية أوطان الشرق وصيانه شعوبه من هذا القهر الاستعماري، عاد الغرب ليختطف الشرق من التحرير الإسلامي، فشن عليه حملاته الصليبية التي دامت قرتين من الزمان (١٠٩٦ - ١٢٩١ م)، ولم يتووع الغرب - إبان هذه الحروب الصليبية، التي رفع فيها أعلام النصرانية - من أن يتحاذ مع التبر الوثنيين ضد الإسلام.

ولما حررت دول الفروسية الإسلامية الشرق من حيوش الصليبيين وأزالت قلاعهم وكياناتهم الاستيطانية.. عاد هذا

الغرب الاستعماري منذ إسقاط غرناطة (١٤٩٢م) إلى القيام بغزواته الحديثة، فالتف حول العالم الإسلامي. ثم أخذ - بغزوة بونابرت (١٧٩٨م) - في ضرب قلب العالم الإسلامي، ولا زلنا نعالج آثار هذه الغزوة. التي مضى على بدايتها خمسة قرون، والتي لم يتورع عليها الغرب الاستعماري الحديث عن التحالف مع أعدائه التاريخيين - اليهود والصهاينة - ضد الإسلام والمسلمين، كما سبق وصنع الغرب الصليبي بتحالفه مع الوثنية التترية في العصر الوسيط!

ثم.. على الغرب الاستعماري أن يتنظر - قبل اتهامه الإسلام وأمنته بالعدوانية والإرهاب - إلى خريطة الواقع التي تعيش فيه..

فمبركات الغرب العابرة للقارات والجسيات، تنهب ثروات العالم الإسلامي ومواده الخام - بأرخص الأسعار - في الوقت الذي يصدرون فيه إلينا سلع الاستهلاك الترفي والترف الاستهلاكي - بأعلى الأسعار - ويعملون على حرماننا من التنمية والتصنيع وامتلاك أدوات القوة الصناعية.

القواعد العسكرية الغربية تغطي أغلب بلاد العالم الإسلامي، حتى لقد تحولت بلاد عربية وإسلامية إلى قواعد عسكرية!! ولا شيء غير القواعد العسكرية، وذلك لحراسة

النهب الاقتصادي، وللعُدوان على سيادة الدول الإسلامية

والأساطيل الحربية الغربية غدت تحتل بحارنا ومحيطاتنا، بل وتحولت مناطق من عالم الإسلام إلى مدائن للنفايات الثقالة، بعد أن تحولت شعوبنا ووزاراتنا إلى حقول تجارب الفساد والصرار عن الأسمدة والمبيدات والأدوية!

والغرب، الذي يحوم شعوب الإسلام - دون غيرها - من حق تقرير المصير، هو الذي يعطي هذا الحق للأقليات التي هي جزء أصيل من الشعب الإسلامية، حتى غدا هذا الحق - لأول مرة في تاريخ الشرعية الدولية - أداة قضيت للدول ذات السيادة، بدلاً من أن يكون أداة لتحرير الشعوب من الاستعمار! - كما حدث ويحدث في «تيمور الشرقية» وفي جنوب السودان.

يحدث ذلك في واقعنا الإسلامي، بينما لا تجد في الغرب جندياً مسلحاً، ولا شركة إسلامية، ولا حتى سفينة إسلامية لصيد الأسماك! ومع ذلك يتحدثون عن عدوانيتنا وإرهابنا. غافلين ومتغافلين عن حقائق التاريخ وحقائق الواقع الذي نعيش فيه، فهل نغفل نحن دور هذا الوعي بالتاريخ والواقع في هذا الصراع؟

فصل جديد.. وليس الأخير!

هى ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٥م نشرت إحدى الصحف الدانماركية - «بولاندس بوستن» - رسوماً «كاريكاتورية» مسيئة إلى رسول الله (ﷺ)، وكانت هذه الرسوم ثموة «مسابقة» أجرتها الصحيفة بين رسامي «الكاويكتور» ليتخيلوا ويرسموا رسول الإسلام، فى الصورة التى رسمتها فى مخيلتهم ثقافتهم الغربية وتراثهم عن رسول الإسلام، وكانت الحصيلة اثنى عشر رسماً، منها ذلك الرسم الذى يصور رسول الإسلام (ﷺ) معتملاً بعمامة فى شكل قتيلة!! ولقد صنعوا ذلك فى حملة صحفية منظمة لمواجهة ما أسموه «الخوف من نقد الإسلام»!!

نعم.. فرسول السلام العادل، والتوحيد الخالص، والرفق بالطبيعة والحمداء فضلاً عن الإنسان والحيوان والنبات، قد صورته الثقافة السائدة فى التراث العربى «إرهابياً» فشر ذيله بالسيف والدم.. وها هى تعاليمه الآن - الإسلام - قد غدت «الإرهاب» الذى يشيعه فى العالم اتباعه «الإرهابيون»!!

وعندما استفزت هذه الرسوم سفراء الدول العربية والإسلامية فى «كوبنهاجن» - عاصمة الدانمارك - ودعتهم السفارة المصرية للاجتماع والاحتجاج، وطلبوا مقابلة رئيس

الوزراء الدانماركي، رفض مقابلتهم، قائلاً: إن ما نشرته الصحيفة لم يخرج عن حدود القانون، وإن الحكومة الدانماركية لا تتدخل فيما هو من حرية التعبير.

ومع تسرب أنباء هذه الرسوم إلى أجهزة الإعلام في البلاد الإسلامية، غضبت الجماهير لرسولها الكريم، ولقدسات دينها الحنيف، فعمدت المؤتمرات، وصدرت البيانات، والدعت المظاهرات، وسقط الشهداء.. وبدأ جمهور الناس في مقاطعة البضائع الدانماركية، وأحترقت قطاعات من النخبة في الكتابة والخطابة وهاعاً عن العقائد والمقدسات.

لكن زد الفعل الغربي، في الإعلام وفي مؤسسات الاتحاد الأوروبي والحكومات الغربية، كان - في مجمله - سلبياً، بل ومعادياً، فصحف كثيرة في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وهولندا وبلجيكا والبرتغال وأسبانيا وأستراليا وسويسرا وأمريكا والفرويج وروسيا - فضلاً عن إسرائيل - قد أعادت نشر الرسوم المسيئة إلى رسول الإسلام، ومفوضية الاتحاد الأوروبي تضامنت مع الدانمارك، بحجة أن حرية التعبير يجب أن لا تتقيد بحرمات مقدسات الإسلام، بل وهددت «هذه المفوضية» الدول الإسلامية التي تقاطع البضائع الدانماركية بتطبيق العقوبات عليها؛ لأن عقاظة الدانمارك

هي مقاطعة لكل دول الاتحاد الأوروبي الخمس والعشرين!!
ووصل الأمر إلى حد أن أحد الوزراء - قى إيطاليا - دعا إلى
شن حرب صليبية ضد الإسلام والمسلمين، وإلى طبع هذه
الرسوم - المسيئة إلى رسول الإسلام - على القمصان
ليرتديها ويتزين بها الأوروبيون!!

وهكذا انتفل العالم بوقائع أحدث فصول الإهانات
الغربية لمقدسات الإسلام؟



وفي الساحة الإسلامية.. ظل كثيرون أن هذا الحادث
الغريب هو حادث مفاجئ.. وشاذ.. وليست له سابقة ولا نظير
في التاريخ، بينما ظل آخرون أن هذا الموقف الغريب، الذي
يسبب إهانة العقائد والمقدسات الدينية الإسلامية، يدعو
لحرية التعبير - التي يراها قيمة مطلقة، تعلو على غيرها
من القيم، حتى أنها غير قابلة للنقاش! - ظنوا أن ذلك
الموقف الغريب هو موقف حديث، أثمرته العلمانية الغربية
التي سادت في السياسة والدولة والمجتمعات الغربية منذ
القرن الثامن عشر، والتي تزعت القداسة عن كل مقدسات
الآديان، والتي تطورت - فيما بعد الحداثة - إلى نزع
القداسة حتى عن منظومة القيم والأخلاق!

لكن الذي تريد أن تقدمه هذه الدراسة، من خلال

«الوقائع.. والوثائق.. وأنشهادات القربى ذاتها»، هو البرهنة على أن عدااء القرب للإسلام، وتعمده إهانة مقدساته - وفي المقدمة منها رسوله العظيم.. وقرآنه الكريم - هو عدااء وافتراء له تاريخ! وأن تاريخ الغرب في اعتراف هذه الجرائم سابق حتى على علمنة الفكر الغربي والمجتمعات الغربية. بل إن هذا الموقف القريب من الإسلام إنما يعود إلى ظهور الإسلام!!

لقد قالها الجنرال الإنجليزي «جلوب باشا» - المستأنف جنرال جون باجوت (١٨٩٧ - ١٩٨٦م) - والذي سبق وعمل قائداً للجيش الأردني حتى عام ١٩٥٦م. قالها - في لحظة صدق - فجاءت معبرة أصدق التعبير عن تاريخ الغرب في العدااء للإسلام، لقد قال: «إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط (أي مشكلة الغرب مع الشرق الإسلامي) إنما يعود إلى القرن السابع للميلاد»!! - أي إلى ظهور الإسلام،



ليس غربيا واحدا

وإذا كنا قد حرصنا دائما - وفي كل ما كتبناه عن مواقف الغرب من الإسلام وحضارته وأمته - على ضرورة التمييز في الغرب بين:

١ - الإنسان الغربي: الذي لا مشكلة له مع الإسلام وأمته وحضارته، والذي يتقهم ديننا وقضايانا عندما تعرض عليه بمناطق وموضوعية.. والذي لنا من بين علمائه ومفكره العشرات، بل والمئات الذين تحدثوا عن الإسلام وحضارته بموضوعية وإنصاف، حتى أننا نتعلم من كتاباتهم - نحن المسلمين - الكثير.

٢ - والعلم الغربي: الذي هو مشترك إنساني عام. استفادت فيه النهضة الأوروبية الحديثة من تراث الإسلام العلمي والحضاري، كما سبق واستفاد المسلمون فيه من تراث الحضارات القديمة - الإغريقية، والهندية، والفارسية - التي أحيوا مؤازيتها الإسلام.

٣ - ومؤسسات الهيمنة الغربية: تلك التي تتركز مشكلة الإسلام والمسلمين معها، لا لأنها غربية، وإنما لأنها «إمبريالية»، سبق لها واستعمرت الشرق ونهبته اقتصاديا.

وقهرته دينيًا وسياسيًا وثقافيًا لمدة عشرة قرون - من «الإسكندر الأكبر» (٣٥٦ - ٣٢٣ ق م) في القرن الرابع قبل الميلاد - وحتى «هرقل» (٦١٠ - ٦٤١ م) - في القرن السابع الميلادي؛

فلما ظهر الإسلام، وحررت فتوحاته أوطان الشرق من هذا الاستعمار وانقهر الفرس - الإغريق - الروماني - البيزنطي، عاد هذا الغرب - تحت أعلام الصليب - وبأيديولوجية الحروب الدينية المقدسة - ليحارب الشرق ويشن عليه العديد من الحملات العسكرية، التي شاركت فيها دول الغرب وإماراته وفرسان إقطاعه، بقيادة الكنيسة الكاثوليكية، ولقد استمرت هذه الحملات الصليبية، والكيانات الاستيطانية والإحلالية التي أقامتها في قلب العالم الإسلامي قرنين من الزمان (٤٨٩ - ٦٩٠ هـ - ١٠٩٩ - ١٢٩١ م).

وعندما نهضت دول الفروسية الإسلامية - الدولة الزنكية - النورية» (٥٢١ - ٦٤٨ هـ - ١١٢٧ - ١٢٥٠ م)، والدولة «الأيوبية» (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ - ١١٧١ - ١٢٥٠ م)، والدولة «المملوكية» (٦٤٨ - ٧٨٤ هـ - ١٢٥٠ - ١٢٨٢ م)، عندما نهضت دول الفروسية الإسلامية هذه فحررت معالم الإسلام من آثار هذه الحملات الصليبية الغربية، بأوروبا

دورة جديدة من دورات صراعه التاريخي ضد الإسلام والمسلمين، وذلك لإعادة اختطاف الشرق من التحوير الإسلامي، فكانت الحروب التي أسقطت «غريناطة» واقتلعت الإسلام من الأندلس (٨٩٧هـ - ٤٩٢م) لتبدأ غزوة الخمسمائة عام: «الغزوة الغربية الحديثة للشرق الإسلامي» التي لا تزال قائمة وقائعا حتى هذه اللحظات».

لقد بدأت هذه الغزوة الغربية الحديثة بالالتفاف حول العالم الإسلامي - حول أفريقيا (٩٠٢هـ - ٤٩٧م) - واحتلال الكثير من البلاد الإسلامية في شرق آسيا - الهند، وال Philippines، وأندونيسيا - ثم استدارت لضرب قلب العالم الإسلامي - العالم العربي - ابتداء من حملة «بونابرت» (١٧٦٩ - ١٨٢٢م) على مصر والشام (٢١٣هـ - ١٢٩٨م).

ولكن يدرك الذين لا يدركون وعن الغرب بهذا التاريخ، بل واحتفاله بذكرياته.. يكفي أن نعلم أن الغرب قد احتفل بمرور خمسمائة عام على إسقاطه «غريناطة» واقتلعه الإسلام عن غربي أوروبا - الأندلس - احتفل بذلك عام ١٩٩٢م، وذلك بإقامة «تورة أولمبية» في «برشلونة» عام ١٩٩٢م - أي في مكان الحدث!! - وذهب العالم - بمن فيه المسلمون! - ليلعبوا على أنغام الذكريات الغربية بالانتصار

على الإسلام، وببدء الغزوة الغربية الحديثة لعالم الإسلام -
من ذات المكان أيضاً - البرتغال -! وليشاهدوا - مع الألعاب
- الأفلام والمسرحيات التي تحدث عن هذه الأحداث، في
مسلسل الصراع الغربي ضد الإسلام.

بل وفي نفس العام ٩٩٢م شن الغرب حربه - بقيادة
الضرب - ضد اليوسفة والنهرسك، وذلك لاقتلاع الإسلام من
وسط أوروبا. في الذكرى الخمسمائة لاقتلعه من غرب
أوروبا!!



إن: فمع هذه المؤسسات الاستعمارية الغربية، ومع هذا
المشروع «الإمبريالي» الغربي، الضامع في اغتصاب الشرق،
ونهب ثرواته، وتغريب ثقافته، وقهر حضارته، ومسح هويته،
تتركز مشكلتنا في العلاقة بالغرب.. وليس مع الإنسان
الغربي أو العلم الغربي،

إن عداء مؤسسات الهيمنة الغربية للإسلام «أمته»
وحضارته وعالمه قد بلغ حد التحالف حتى مع «الوثنية»
«التترية» إبان الحروب الصليبية - في العصور الوسطى -
ضد الإسلام! والتحالف - في العصر الحديث - مع
«الصهيونية» اليهودية، اليوم، ضد الإسلام، بل وتسعى
«الصليبية» «الصهيونية» اليوم، غنتهزة فرصة التشرذم في

نظم الحكم الإسلامية، والضعف الذي تسببه تبعية هذه
النظم «المركز - الإمبريالي» الغربي، تسعى للتحالف مع
«الهندوسية» ضد الإسلام.

لقد كتبنا كثيرًا، ونبهنا مرارًا على ضرورة التمييز في
الغرب بين هذه القطاعات الثلاثة:

الإنسان الغربي.

والعلم الغربي.

ومشروع الهيمنة الغربية ومؤسساته «الإمبريالية»... وذلك
حتى لا نضع الجميع في «سلة واحدة»، غافلين عن المنهج
القرآني في التعامل مع الآخرين - كل الآخرين - والذي
تلخصه الكلمة القرآنية الجامعة: ﴿لَيْسَ أَسَاءَ إِلَى الْعَمْرَأِ﴾ (١١٢).

وإذا كنا قد نشرنا العديد من الكتب - الكبيرة،
والمتوسطة، والصغيرة - عن تاريخ الغرب معنا - نحن
المسلمين - على امتداد قرون هذا الصراع الذي فرضوه
علينا، فإن هدف هذه الدراسة الموجزة هو:

١ - إيراد الوقائع والشهادات الغربية، والحقائق التاريخية، التي تحكي
تاريخ الاضطهادات الغربية على الإسلام، والعداء والعدوان على
مقدساته.

٢ - ولكون هذه الوقائع والشهادات والحقائق التاريخية في صدر

جدول أعمال أية حوارات بين المسلمين وبين الغربيين، وذلك لتكون هذه الحوارات علاجاً للمرض، وليست وهوفاً عند العرض، فمسألة أن تكون - كما لها اليوم - علاقات عامة، ومجاملات..

إن التناول الشجاع لحقائق العلاقات بين الغرب والشرق، هو الكفيل بفتح الأبواب - ولو ببطء وقدرج - لتصحيح مسارات هذه العلاقات.. وهو وحده الكفيل بتصحيح المفاهيم الخاطئة، وإعادة بناء الصور لدى الفرقاء المختلفين.

إن علينا أن نجاهد ضد تسطيح البعض لهذه المشكلة، والنظر إليها كحدث طارئ، أو وحيد، أو شاذ، أو معزول، فنحن أمام عداة غربي للإسلام، له تاريخ.. وهو عداة لمقدراتنا تاريخية سابق على العلمانية الغربية التي تزهت القداسة عن كل مقدرات العالم الذي نعيش فيه، وهو عداة نابع من كراهية الغرب الاستعماري للإسلام. لأنه العقيدة الجهادية التي تدافع عن الأرض والعرض والثروات، التي هي الهدف الأعظم للغرب الأميركي في صراعه التاريخي مع عالم الإسلام، فهدف الغرب، نهب ثروات الشرق الإسلامي - ضمن مشروعه لنهب العالم - وهو يكره الإسلام باعتباره «الأيديولوجية» الجهادية المحركة للأمة الإسلامية ضد هذه «الأميريالية» الغربية، ولذلك، فهو يعمل لها على تنصير المسلمين، وطي صفحة الإسلام من الوجود - وتلك مقاصد

مؤسساته الدينية - أو على تحويل الإسلام إلى صيغة نصرانية، تقبل بالمبدأ النصراني: «دع ما لقيصر لقيصر... وما لله لله»، وذلك حتى يدع المسلمون أوطانهم وترواتهم «القيصر - الغربي» ويكتفون من الإسلام بما هو لله!! وذلك هي مقاصد المؤسسات السياسية الغربية، التي عبر عنها المفكر الاستراتيجي الأمريكي «فوكوياما» عندما قال: «إننا نريد حرباً داخل الإسلام، نجعله إسلاماً إسرائيلياً، حداشياً، علمانياً، يقبل المبدأ المسيحي: «دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله»^(١).

إنهم لا يريدون الإسلام الشامل، الذي تصنع «عبادته، روح «الجهاد» في سبيل العزة والحرية والتحرير والاستقلال»، الإسلام الذي يجعل عزة أمته من عزة الله وعزة رسوله (عليه الصلاة والسلام) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ﴾ (المنافقون: ٨) .. الإسلام الذي يجعل الرهبانية هي الجهاد.. والذي يجعل رهبان الليل هم أنفسهم قورسان النهار ﴿إِنْ نَافَثَ اللَّيْلُ هِيَ أَشَدُّ وَطْناً وَأَقْوَمُ قِيلاً﴾ (الزمل: ٦).



وإذا كان المنهاج الأفضل في التناول لهذا التاريخ الغربي في العداء للإسلام، والاقتراء على مقدساته، والإهانة

(١) مجلة (نيويورك) - الأمريكية - العدد الثماني، ديسمبر ٢٠٠١م، فبراير ٢٠٠٢م.

نرموزه، هو تقديم الشهادات الغربية التي اعترفت بهذا
 العداء - من خلال الدراسات المنصفة التي كتبها علماء
 ومفكرون غربيون كثيرون؛ لأن هذه الشهادات والوقائع هي
 الأفعال في جعل الغرب - أثناء الحوار أو السجال - يدرك
 حجم القذى الذي تمثل في عيونه التناظرة إلى الإسلام، كما
 أنها هي الأفعال في إيقاظ العقل المسلم، كي يرى حجم
 المشكلة التي تواجهه وهو يتجاوز ويتعامل مع مؤسسات
 الهيمنة الغربية، أو مع الإنسان الغربي حول الموقف من
 العقائد والمقدسات.



عداء.. واهانات لها تاريخ

١

في كتاب مترجم عن الألمانية، كتبه عالمان سويسريان - هما «هوبرت هيركوفر» و«جيولوت روتر» - بقولان عن الصورة الغربية، الشائعة والمستكنة في التراث الغربي، عن رسول الإسلام (ﷺ):

«لقد اعتبر المسيحيون الأوروبيون محمداً رجلاً عاش حياة داعية، وتجاوز حبه كل حدود النداء والانحطاط.. ولم يتورع خيالهم عن الادعاء بأن رسول الإسلام كان في الأصل كازديناً كاثوليكياً، تجاهلته الكنيسة في انتخابات البابا، فقام بتأسيس طائفة ملحدة في الشرق انتقاماً من الكنيسة، واعتبرت أوروبا المسيحية في القرون الوسطى، محمداً المرتد الأكبر عن المسيحية، الذي يحمل وزر انقسام نصف البشرية عن الديانة المسيحية...»^(١)

وبتهداة المستشرق الفرنسي الشهير «مكسيم زودنسون» (١٩١٥ - ٢٠٠٤م):

(١) هوبرت هيركوفر، جوليوت روتر (صورة الإسلام في التراث الغربي) ص ٦٣، ٦٤.
ترجمة أمال عبد - وتقديم د. محمد بشار، مؤسسة دار النهضة مصر، القاهرة ١٩٩٩م. سلسلة «في التمييز الإسلامي».

« فلقد حدث أن الكتاب الثلاثين، الذين أخذوا بين عامي ١١٠٠م و١١٤٠م على عاتقهم إشباع الحاجة لدى الإنسان العامي، أخذوا يوجهون اهتمامهم نحو حياة محمد، دون أي اعتبار للدقة، فاطلقوا العنان، ليجعل الخيال المنتصر... فكان محمد (في عرهم) ساحراً، هدم الكنيسة في أفريقيا والشرق عن طريق السحر والخديعة، وضمن نجاحه بأن أباح الاتصالات الجنسية، وكان محمد (في عرف تلك الملاحم) هو صميم الوثنية، وكان معظم الشعراء الجوالية يعتبرونه كبير الهة السراسنة (البدوا)، وكانت تماثيلة (حسب أقوالهم) تصنع من مواد ضئيلة، وذات أحجام هائلة»؛

تقد اعتبر الإسلام، في العصور الوسطى نوعاً من الانشقاق الديني، أو هرطقة ضمن المسيحية، وهكذا راد، دالشي، (٢٩٥) - (١٣٢١م)... (١).

تلك هي صورة الإسلام ورسوله في الثقافة الشعبية الأوروبية، التي تبلورت وشاعت منذ العصور الأوروبية الوسطية، قبل العلمانية، وقبل أن يعرف الغرب شيئاً اسمه «حرية التعبير».



(١) د. محمد عمارة: (الإسلام في عصور غريبة بين اقتراح الخيال، وإسقاط العقل)، من ٦٤، طبعة دار الشروق، القاهرة ٢٠٠٩م.

وإذا كانت الملاحم الشعبية إنما تمثل أكبر المكونات الثقافية
جسور أية أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات، فإن
«المحمة رولاند» الشعبية - حوالى عام ١٠٠٠م - تصور
المسلمين، الذين يبلغ التوحيد الدينى للألوهية عندهم أرقى
درجات انتزاعه والتحرير، «فكل ما خطر على يالك، فالله
ليس كذلك»، تصورهم هذه المحمة الشعبية الشعبية
الأوروبية - وثنيين، يعبدون ثلاث:

١ - أبولين Apollin .

٢ - وتيرفاجانت Tervagant .

٣ - ومحمد Mahamed .^(١)



وإذا كان الدين واللاهوت والفلسفة الدينية قد لعبت دوراً
بارزاً في تكوين العقل الغربى والثقافة الأوروبية في عصورها
الوسطى، فإن «القديس - الفيلسوف» «توما الأكوينى» (١٢٢٥ -
١٢٧٤م)، وهو أكبر فلاسفة الكاثوليكية عبر تاريخها - قد

(١) (مقدمة الإسلام فى التراث الغربى)، ص ٢٤ - ٢٦.

صور لقومه رسول الإسلام (ﷺ) فقال:

«لقد أوى محمد الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع
الشهوانية، وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأنجيل من
خلال الأساطير والخرافات التي كان يتلوها على أصحابه، ولم
يؤمن برسالته إلا المتوحشون من البشر، الذين كانوا يعيشون في
البادية»^(١).

أما رأس البروتستانتية «مارتن لوتر» (١٤٨٣ - ١٥٤٦م):
فلقد قال عن رسول الإسلام - الذي جعل الحياء شعبية من
شعب الإيمان، والعفة ثابتاً من ثوابت القيم الإسلامية.. قال
«مارتن لوتر» عن هذا الرسول الكريم:
«إن محمداً هو خادم العاهرات، وصائد المومسات»^(٢).



٤

وإذا كانت (الكوميديا الإلهية) التي كتبها الشاعر
الإيطالي الأشهر «دانتي» (١٢٩٥ - ١٣٢١م) قد عدت معلماً
من معالم ثقافة أوروبا منذ عصر النهضة وحتى هذه
اللحظات، ونصاً يدرسه الطلاب في المدارس والجامعات:

(١) المرجع السابق، ص ٣٢ / ٣٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٣٩.

فإن هذه (الكوميديا الإلهية) قد وضعت رسول الإسلام (ﷺ) وعلى بن أبي طالب (كرم الله وجهه):

«في الحفوة التاسعة، في ثامن حلقة من حلقات جهنم؛ لأنهما - يتظر «داقتي» - من أهل الشجار والنفاق، الذين تتحطت أجسادهم في سعي الكوميديا الإلهية»^(١).



وإذا كانت هذه الإشارات - وهي مجرد إشارات - التي تفصح عن عناوين الصورة الشعبية والدنية لرسول الإسلام (ﷺ) في ثقافة أوروبا - العصور الوسطى - وبدايات عصر النهضة - فإن هذه الصورة لم تتبدل ولم تتعدل في فكر التنوير الغربي.

ففيلسوف التنوير الغربي «فولتير» (١٦٩٤ - ١٧٧٨م) - الذي قدمه الغرب - وقدمه المثقفون العلمانيون في بلادنا - باعتباره نموذج الشجاعة الفكرية، المستعد للموت في سبيل حرية الآخرين - هو الذي كتب عن رسول الإسلام (ﷺ) مسرحيته: (التعصب أو محمد الرسول)، فجعل فيها من رسول الله نموذجاً للتعصب، رغم اعتراف الرسول بكل

(١) المرجع السابق ص ٢٥.

الآخرين، حتى الذين ينكرون نبوته ويكفرون بدينه، وتفتيته
 أن لهم ما المسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى
 المسلمين ما عليهم، حتى يكونوا للمسلمين شركاء قبيحا لهم
 وقبيحا عليهم، كما أخفى «فولتير» - في هذه المسرحية -
 جبهته أمام الكنيسة، وخوفه من مهاجمة المسيحية أو نقدها،
 بالهجوم على الإسلام ورسول الإسلام!

ولم يكشف حقيقة هذا الذي جعلوه فيلسوفا الحرية
 والتوير، سوى رائد اليقظة الإسلامية الحديثة جمال الدين
 الأفغانى (١٢٥٤ - ١٢١٤ هـ - ١٨٢٨ - ١٨٩٧ م)، الذي كتب
 عن «فولتير» و«روسو» (١٧١٣ - ١٧٧٨ م) فقال:

«لقد زعما حماية العدل ومغايرة الظلم والقيام بإزالة الأفكار
 وهداية العقول. فنبشوا قبر أبيقور الكلبى، (٢٤٧ - ٢٧٠ ق.م)،
 وأحيوا ما بلى من عظام الدهريين، ونبذوا كل تكليف دينى،
 وغرسوا بذور الإباحية والأشتراك، وزعما أن الآداب الإلهية
 جفليات خرافية، كما زعما أن الأديان مخترعات أحدثها نقص
 العقل الإنسانى، وجهر كلاهما بإنكار الألوهية، ورفع كل عقيرته
 بإشتتيع على الأنبياء إبراهيم الله منا قذرا، وكثيرا ما ألف
 «فولتير» من الكتب فى تحطئة الأنبياء والسخرية بهم والقدح
 فى أنسابهم وعيوب ما جاءوا به» (١).

(١) جمال الدين الأفغانى (الأعمال الكاملة) ج ١، دراسة وتحقيق: محمد جملة.

وإذا كان القرآن الكريم قد علم المسلمين أنه قد جاء مصدقاً لما بين يديه من الكتب السماوية التي نزلت على سائر الأنبياء والمرسلين، وتحدث عن صحف إبراهيم، وزبور داود (عليهما السلام)، وقال عن توراة موسى (عليه السلام): «إِنْ قِيلَ هَذَا زُورٌ» (المائدة: ٤٤)، وعن إنجيل عيسى (عليه السلام): «إِنْ قِيلَ هَذَا زُورٌ» (المائدة: ٤٦).

فلقد قال «مارتن لوتر» (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) - رأس البروتستانتية الغربية وزعيمها - عن القرآن الكريم: «أى كتاب بغيبض وفخيلع وملعون هذا القرآن.. ملء بالأكاذيب والخرافات والفضائح.. وإن إزجاج محمد، والأصوار بالمسلمين، يجب أن تكون هي المقاصد من وراء ترجمة القرآن، وتعرفه المسيحيين عليه»^(١).

وقال الشاعر الألماني الشهير «جوته» (١٧٤٩ - ١٨٣٢م) عن هذا القرآن الكريم:

«إنه الكتاب الذي يكرر نفسه تكرارات لا تنتهى. فيثير
اشمزازنا دائماً، كلما شرعنا في قراءته»^(٢).

(١) (أسيرة الإسلام في التراث الغربي) ص ٢١

(٢) من نصائح تحت الطبع، ترجمها الباحث ثابت محمد - مترجم (صورة الإسلام في التراث الغربي)

وحتى الرجل الذى أنصف نبي الإسلام، وجعله أعظم
العظماء «توماس كارليل» (١٧٩٥ - ١٨٨١م) رأيناه يقول عن
القرآن الكريم:

«إن محمداً شىء.. والقرآن شىء آخر.. فالقرآن هو خليط
طويل وممل ومشوش.. جاف.. وغليظ.. باختصار، هو غباء لا
يُحتمل» (١).

فنحن - إذن - بإزاء عداء لقدس أقدس الإسلام -
رسول الإسلام (ﷺ) وقرآنه الكريم - وهو عداء له تاريخ
قديم، وثابت، وطويل.



٧

وإذا كنا نكتب اليوم بمناسبة إهانة الغريب - غريب القرن
الحادى والعشرين - لمقدسات الإسلام، فإن الوقائع
والممارسات الغربية التى تهين وتمتهن هذه المقدسات هى
وقائع وممارسات لها تاريخ قديم، بل وسابق حتى على ظهور
الإسلام.

فالغريب الذى يهين اليوم مقدسات الإسلام - على الرغم
من احترام الإسلام وتقديسه لكل مقدسات جميع الأديان -

(١) المرجع السابق.

هذا القرب الاستعماري - هي طوره الإغريق، الروماني، البيزنطي - هو الذي اعتنق عقائد التصراية الشرقية، واتهم عقائدها، واغتصب كنائسها وأديرتها - ولقرون عديدة - حتى جاءت الفتوحات الإسلامية: فحررت هذه العقائد والمقدسات مع تحريرها لأوطان أصحابها - وعلى هذه الحقيقة شهد الأسقف «ميخائيل السرياني» فقاراً:

«لقد نهب الرومان الأشرار كنائسنا وأديرتنا بقسوة بالغة، واتهمونا دون سقفة، ولهذا جاء إلينا من الجنوب أبناء إسماعيل لينقذونا من أيدي الرومان. وتركنا العرب نمارس عقائدنا بحرية، وعشنا في سلام» (١).

وقبل «ميخائيل السرياني» شهد الأسقف «يوجنا النقيوس» - الذي كان شاهداً عياناً على الفتح الإسلامي لمصر - بأن هذا الفتح الذي حرر مصر عن الاستعمار البيزنطي، إنما كان بمثابة العدل الإلهي الذي انتقم الله به من ظلم الرومان، فقال: «إن الله الذي يصون الحق، لم يهمل العالم، وحكم على الظالمين، ولم يرحمهم لتجربتهم عليه، وردهم إلى أيدي الإسماعيليين (العرب المسلمين)، ثم نهض المسلمون وحازوا كل مصر، وكان عمرو بن العاص يقوى كل يوم في عمله، ويأخذ الضرائب التي حددتها، ولم يأخذ شيئاً من مال الكنائس،

(١) د. مكي أبو العباس سليم (تاريخ مصر في العصر البيزنطي) من ٦٢، صفحة

القاهرة دار عين ٢٠١١م.

ولم يرتكب شيئاً مما سلباً أو نهياً، وحافظ على الكنائس طوال الأيام، ودخل الأنبا بنيامين - بطريرك المصريين - مدينة الإسكندرية، بعد هربه من الرومان ثلاثة عشر عاماً، وسار إلى كنائسه، وزارها كلها، وكان كل الناس يصفون: هذا النضي، وانتصار الإسلام كان بسبب ظلم هرقل الملك، وبسبب اضطهاد الأرثوذكسيين، وهلك الروم لهذا السبب، وساد المسلمون مصر، وخطب الأنبا بنيامين (٣٩هـ - ٦٥٩م) في دير مقاريوس، فقال: لقد وجدت في الإسكندرية زمن النجاة والطمأنينة اللتين كنت أتشدّهما، بعد الاضطهادات والمظالم التي قام بتسبيلها الظلمة المارقون^(١).



٨

وبعد هذا الإنقاذ والتحرير «والنجاة والطمأنينة والإسلام» الذي حققه الإسلام لكل عقائد أصحاب الديانات ولجميع المقدسات، جاءت الحملات الصليبية الغربية (٤٨٩ - ٦٩٠هـ - ١٠٩٦ - ١٢٩١م) لتحول المسجد الأقصى إلى اضطراب خيل وكنيسة لاتينية، متهكة حرمة هذا الحرم القدسي الشريف، الذي هو - عند المسلمين - أولى القبلتين.

(١) الأستاذ يوحنا القيصون (تاريخ مصر من أوجها القديم)، رؤية قديمة للمتح (الإسلام)، ص (٣٠١، ٢٠٢، ٢٢٠)، ترجمة ودادة د. عزم صابر عبد الحليم، طبعة القاهرة - دار عين ٢٠١٠م.

وثالث الحرمين.. وأحد المساجد الثلاثة التي تتفرد بأن تشد إليها الرحال.. جاء الصليبيون فحولوه إلى اصطبل خيل وكنيس لاتيني لما يقرب من تسعين عامًا (١٩٢ - ٥٨٣هـ / ١٠٩٩ - ١١٨٧م) حتى حوز صلاح الدين الأيوبي (٥٢٢ - ٥٨٩هـ / ١١٢٧ - ١١٩٢م) ..



٩

وإيان الحفلة الفرنسية، التي قادها «بونابوت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) على عصر (١٢١٣هـ - ١٢٩٨م) دنست جيوشه - جيوش الثورة الفرنسية، الراقعة لأعلام الحرية والإخاء والمساواة - دنست الأزهر الشريف - أقدم وأعرق الجامعات الكبرى وأحد المساجد الشهيرة في تاريخ الإسلام - ومزقت وداست - الجنود والخيول - القرآن الكريم، وكتب الستة النبوية المطهرة، وسكر الجنود، وبألوا وتغوطوا على هذه المقدسات، في الأزهر الشريف.. ولقد وصف مؤرخ العصر الشيخ عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ - ١٢٢٧هـ / ١٧٥٤ - ١٨٢٢م) هذا الذي اقترفه جنود الحفلة الفرنسية، فقال:

«لقد دخل أولئك الوعول - (التيوس) - إلى الجامع الأزهر، وهم راكبون الخيول.. وداس فيه المشاة بالنعالات، وهم يحملون السلاح والبندقيات، وتضرعوا في صحنه ومقصوراته، وربطوا

خيولهم بقبيلته، وعاشوا في الأروقة والىحجزات، وكسروا
القناديل والنهارات، وهشموا خزائن الطليعة، والجاورين والكتيبة.
ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع، والودائع والحيات
بالدواليب والخزانات، ودشتوا الكتب والمصاحف، وعلى الأرض
نظر حوها، وبارجلهم ونعالهم داسوها. وأحدثوا بالمسجد
وتمخطوا، وبألوا وتغوطوا، وشربوا الشراب وكسروا أوانيها،
والتقوها بصحنه وتواحيه.

وكل من صادفوه به عرّوه، ومن ثيابه أخرجوه، ووجدوا في
بعض الأروقة إنسانا فذبحوه، ومن الحياة أعدموه، وفعلوا
بالجامع الأزهر، ما ليس عليهم بمستنكر: لأنهم أعداء الدين.
وأحصاء متغلبون، وغرماء متشمتون، وضباع متكالبون، وأجناس
عتابينون، وأشكال متعاندون.

وأعطى تلك الليلة جيش الرحمن، فسحة لجيش
الشیطان^(١).



١٠

وتتكرر ذات القعدة - تدنيس الأزهر الشريف، والقرآن
الكريم، وكتب السنة النبوية المطهرة - على يد الاستعمار

(١) الجبرتي (مشهور التدنيس برؤال دولة القرامطة) ص ٧٢، تحقيق د. عبد الرحيم

عبد الرحيم عبد الرحيم، مطبعة القاهرة، دار الكتب ١٩٩٨م.

الإنجليزى (١٢٣٨هـ / ١٩١٩م)، فقلد حاول الإنجليز - إبان ثورة الشعب المصرى ١٩١٩م - إغلاق الجامع الأزهر فى ٢ من أبريل ١٩١٩م، لكن شيخه الشيخ محمد أبو الفضل الحيرائى (١٢٦٣ - ١٣٤٦هـ / ١٨٤٧ - ١٩٢٧م) رفض.. فاحتجم ودنسوه فى ١١ من ديسمبر ١٩١٩م. ولقد وصف ذلك المؤرخ الحجة عبد الرحمن الرافعى (١٣٠٦ - ١٣٨٦هـ / ١٨٨٩ - ١٩٦٦م) فقال:-

لقد وقع فى يوم ١١ من ديسمبر ١٩١٩م - ١٨ من ربيع الأول ١٣٣٨هـ - حادث اهترت له أرجاء القاهرة، وأثار عاصفة من السخط والاستنكار فى أنحاء البلاد، وهو اقتحام الجنود الانجليزية الجامع الأزهر. لقد دخلوه بنعالهم وأسلحتهم - محاردين للمتظاهرين - واعتدوا على من ساءقوه بالضرب والإيذاء، فحدث هرج ومرج فى الجامع، واقتحم الجنود مكاتب الإدارة، وحاولوا كسر الأبواب، ففسخ الموظفون، وحدثت ضجة كبيرة داخل الجامع وخارجه...!!



١١

وإذا كانت الديانات السماوية، وكذلك القوانين الوضعية عبر التاريخ الإنسانى، قد تعارفت وتوافقت على احترام

(١) عبد الرحمن الرافعى (ثورة ١٩١٩م) ص ٧٦ - ٧٧، طبعة دار الشعب، القاهرة.

العهود وتقديس عقود الأمان - وخاصة للأسرى، الذين يعانون وطأة الهزيمة والاستضعاف، فإن الغرب الاستعماري قد احترق لقص عهود الأمان التي قطعها للأسرى المسلمين، ودبحهم، رغم ما أعطى لهم من عهود الأمان.

ففي الحروب الصليبية الغربية على الإسلام والمسلمين، رأينا ملكهم - الذي يباهون به - «ريتشارد قلب الأسد» (١١٨٩ - ١١٩٩م) يذبح ثلاثة آلاف جندي من أسرى المسلمين بعد أن قطع لهم عهد الأمان، وبشهادة وعبارة المستشرق الألمانية الدكتور «سيجيريد هونكة»:

«على العكس من المسلمين - الذين شملوا أسرى الصليبيين بمرورهم، وأسبغوا عليهم من الجود والرحمة ما صار مضرًا للمثل في التخلي بروح القروسية العالية - لم تعرف القروسية النصرانية أي التزام خلقى تجاه كلمة الشرف أو الأسرى، فالتك «ريتشارد قلب الأسد»، الذي أقسم بشرفه لثلاثة آلاف أسير عربي أن حياتهم آمنة، إذ هو فجأة متقلب المزاج، فيأمر بدبحهم جميعاً» (١).

وفي العصر الحديث، رأينا «بوتانوت» (١٧٦٩ - ١٨٢١م) يقتطف ذات الجريمة - جريمة العذر بعهد الأمان الذي قطعه للأسرى مغرقة «يافا» (٢١٤هـ / ١٧٩٩م) -، فلقاه ذبح آلاف

(١) د. سيجيريد هونكة (الله ليس كذلك) ص ٣٥، طبعة دار الشروق - القاهرة ١٩٩٥.

الجنود المسلمين الذين استسلموا، والذين أعطاهم عهد الأمان!! ولقد وصف المؤرخ الحجة عبد الرحمن الراجعي هذا الغدر، والانتهاك لقداسة عهد الأمان، فقال - نقلاً عن المؤرخين الفرنسيين -:

«لقد وصل نابليون بجيشه تجاه يافا يوم ٢ من مارس ١٧٩٩ م، وكان الجيش العثماني بقيادة عبد الله باشا الحزار (١٦٣٢ - ١٢١٩ هـ / ١٧٢٠ - ١٨٠٤ م) متمتعاً بها: فحاصرها نابليون بجنوده، واستولى عليها يوم ٧ من مارس، بعد معركة شديدة قتل فيها من الجنود العثمانيين ٢٠٠٠ قتيل، ودخل الفرسيون المدينة، وأعملوا فيها السيوف والنار.

لقد نهب الجنود الفرنسيون يافا، وأرتكبو فيها من الفظائع ما تقشعر منه الأبدان - باعتراف المؤرخين الفرنسيين - واستمر النهب والقتل يومين متواليين، واضطر الجنرال «رويان» - الذي عينه نابليون قائداً للمدينة - أن يقتل بعض الجنود لإعادة النظام. فذهب جهده عبثاً، ولم ينقطع النهب إلا بعد أن كل الجنود من الاعتداء وسفك الدماء!!

ولم يكف ينقطع النهب لمدينة يافا، حتى أعقبته مأساة أخرى أشد هولاً وفضاعة، ذلك أنه بعد انتهاء المعركة ودخول الفرنسيين المدينة، كان بها من الجنود العثمانيين نحو ثلاثة آلاف مقاتل، أروا التسليم والقاء السلاح في يد الفرنسيين بشروط انفضوا عليها مع اثنين من ياوران نابليون، وهما

«بورغارنية، وكروازينية»، ومن هذه الشروط، أن تضمن لهم
أرواحهم بعد التسليم، وتعهد الياوران بذلك باسم القائد العام
(نابليون)، وتلقاهم الفرنسيون كآسرى حرب، ولكن نابليون، بعد
أن فكر طويلاً في أسرهم، وتردد في شأنهم، أمر بإعدامهم
جميعها رمياً بالترصاص، فسبق أولئك الآسرى إلى شاطئ البحر
وأعدموا جميعاً رمياً بالترصاص^(١).



١٢

وعندما احتلت فرنسا الجزائر (١٢٤٦هـ - ١٨٣٠م) لم
تسها علمانياتها المتوحشة الحقد التصرائى الصليبي على
الإسلام والمسلمين، فاعتبرت انتصارها هذا انتصاراً
للمسيحية على الإسلام، وسجل رفاعة الطهطاوى (١٢١٦ -
١٢٩٠هـ / ١٨٠١ - ١٨٧٢م) هذه الحقيقة - وكان شاهد عيان
عليها يومئذ ببافيس - فقال:

«إن المطران الكبير (ببافيس) لما سمع بأخذ الجزائر، ودخل
الملك شارل العاشر (١٨٢٤ - ١٨٣٠م) الكنيسة يشكر الله على
ذلك، جاء إليه المطران ليهنئته على هذه الصورة، فقال: إنه
يحمد الله على كون الأمة المسيحية انتصرت نصره عظيمة على

(١) عبد الرزاق الراعى (تاريخ الحركة القومية) ج ٢، ص ٢٩ - ٣٠ طبعة القاهرة

الملة الإسلامية، ولا زالت كذلك^(١).

وعندما احتفل الفرنسيون - العلمانيون - بمرور مائة عام على احتلالهم للجزائر (١٣٤٩هـ / ١٩٣٠م) ماذا قالوا في الخطب والكلمات التي عبرت عن حقدهم الصليبي على الإسلام لقد خطب أحد كبار ساستهم فقال:

«إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرءون القرآن، ويتكلمون العربية، فليجب أن نزيل القرآن من وجودهم، وأن نقتلع العربية من سنتهم..»

ويخطب سياسي آخر، فقال:

«لا تظنوا أن هذه المهرجانات من أجل بلوغنا مائة سنة في هذا الوطن. فلقد أقام الرومان قبلنا فيه ثلاثة قرون، ومع ذلك خرجوا منه، ألا فتعلموا أن مغزى هذه المهرجانات هو تشييع جنازة الإسلام بهذه الديار...»

ويخطب أحد كرادلة الكنيسة الفرنسية، فقال:

«إن عهد الهلال في الجزائر قد غير، وإن عهد الصليب قد بدأ، وأنه سيستمر إلى الأبد.. وإن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهداً لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيتها الإنجيل...»

(١) وقاعة المخطوطات (الأشغال الكاملة) ج ٢، ص ٢١٤، دراسة وتحقيق د. محمد سمارة
طبعة بيروت ١٩٧٣م

وفي القرن الحادي والعشرين.. وبعد احتلال أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣م - بواسطة تحالف صليبي شرقي بضاهي الحملات الصليبية الأولى - وجدنا رعاة البقر يتعمدون انتهاك كل حرمة المسلمين، مركزين على حرمتي «العرض» و«الدين».

صنعوا ذلك عندما انتهكوا مقدسات الأعراض - للنساء والرجال - ومقدسات العقائد في سجن «أبو غريب» وغيره من السجون - على النحو الذي سجلت ثمادجة الصور التي شاهدها الناس عبر القضائيات والصحف والمجلات.

وصنعوا ذلك في مدينة «الفالوجة» العراقية في أكتوبر/ نوفمبر ٢٠٠٤م، ففي مدينة تعدادها ٣٠٠.٠٠٠ - أي نحو ثلث مليون - ومساحتها أربعة كيلو مترات في الطول والعرض:

- دمر الأمريكيون ٤٠ مسجدًا - من جملة مساجدها السبعين.

- وأجهزوا على الجرحى في المساجد، ورأى الناس ذلك، عبر الصور، في الفضائيات.

- وذهسوا ودمعروا محتويات المساجد - بها في ذلك

المصاحف وكتب السنة النبوية المطهرة.

- كما استخدموا الأسلحة المحرمة دوليًا - مثل الفوسفور الأبيض، والثقل العنقودية - ضد المدنيين الأبرياء، بمن فيهم الأطفال والنساء.

وصنع الأمريكيون ذلك - أيضًا - في معتقل «جوانتانامو»، حيث دنسوا القرآن الكريم، ووضعوا صحائفه في المراحيض، ليهينوا الأسرى والمعتقلين الذين يقدسون هذا القرآن الكريم^{١١}.

وصنعوا ذلك ببغداد - في يناير ٢٠٠٦م عندما اقتحم الجيش الأمريكي مسجد «أم القرى» - مقر «هيئة علماء المسلمين» بالعراق -، ودمروا ودنسوا المقدسات الإسلامية، بما فيها القرآن الكريم.. وكتب السنة النبوية المطهرة، ثم رسموا الصليب على جدران هذا المسجد.



١٤

ولا يحسن أحد أن هذه التصاوح - وهي مجرد غفادج - من الوقائع والحقائق، قد كانت هي الذروة التي توقفت عندها الممارسات الفجرية في انتهاك حرمانات الإسلام ومقدساته، فلقد رأينا من القادة والمسؤولين - نعم القادة

والمسؤولين - من يتجاوزون إهانة رسول الإسلام.. والقرآن الكريم.. وغيرهما من الرموز والمقدسات - إلى حيث الإهانة حتى للذات الإلهية.

فوزير العدل - نعم العدل (١) - الأمريكي السابق «جون أشكروفت» يهين رب العالمين، فيقول:

«إن المسيحية دين أرسل الرب فيه ابنه ليموت من أجل الناس، أما الإسلام، فهو دين يطلب الله فيه من الشخص إرسال ابنه ليموت من أجل هذا الإله» (٢).

والجنرال الأمريكي «ويليام م. ج. بويكي» - نائب وزير الدفاع الأمريكي - يخطب في إحدى الكنائس - وهو يريه العسكري - فيقول:

«إن إلهنا أكبر من إلههم.. إن إلهنا إله حقيقي، وإله المسلمين صمم.. وأنهم يكرهون الولايات المتحدة الأمريكية، لأنها أمة مسيحية/ يهودية، وحرينا معهم هي حرب على الشيطان، وإن دين الإسلام دين شيطاني شرير». ومحمد هو الشيطان نفسه... (٣).



(١) صحيفة (الشرق الأوسط)، لندن، في ٢١ / ٢ / ٢٠٠٢ م.

(٢) صحيفة (الحياة) لندن في ١٧ - ١١ / ٢٠٠٢ م. وصحيفة (الأهرام) القاهرة في ١٨ /

٢٠٠٢ / ١١

أما الإهانات الصهيونية لمقدسات الإسلام، فحدث عنها ولا حرج.

لقد بدأت مع بداية جريمة إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين عام ١٩٤٨م، وذلك بهدم خمسمائة قرية فلسطينية، وتدمير مساجدها، وحتى مقابر الأموات فيها)) ثم استمرت هذه الإهانات لتأخذ الآن صورة تهديد مدينة الحرم القدسي الشريف، وتهديد المسجد الأقصى، وذلك بالحفر تحت أساساته، وبناء متحف وكنيس يهودي أسفل ساحاته.. والتجهيز لهدمه، وإقامة هيكل يهودي على أنقاضه.

وبين هذا الذي بدأ عام ١٩٤٨م وهذا الذي يحدث اليوم، كان مسلسل الإهانات التي اقترفتها المستوطنون الصهاينة - المدعومين من أمريكا والغرب - بحق القرآن الكريم - تمزيقاً وتدنيساً - وبحق المساجد الإسلامية بكتاية الشعارات المهيبة للإسلام والمسلمين على جدرانها، وباغتصاب الجزء الأكبر من «الحرم الإبراهيمي» - بمدينة الخليل - وحتى يرسم رسول الإسلام (ﷺ) في صورة خنزير!!



ومع كل هذا الذي مثل ويمثل مخزونا ثقافيا الكراهية السوداء، تجاه الإسلام ومقدساته وأمته وحضارته، نجدهم يصعدون رءوسنا - ومعهم العلمانيون العملاء في بلادنا - عن عيوب «الخطاب الإسلامي» وعن رفض المسلمين للأخوة وتعصبيهم إزاء الآخرين، ونجدهم يعتمدون الميثرانيات، ويمارسون الضغوط لتغيير مناهج التعليم في البلاد الإسلامية، وذلك لتحويل الإسلام عن طبيعته، وجعله - كما قال «فوكوياما» - «شيئا حداثيا.. ليبراليا.. علمانيا.. يقبل المبدأ المسيحي: دعه ما لقيصر لقيصر وما لله لله».

لقد كتب الصحفي الأمريكي الصهيوني «توماس فريدمان» - إبان الحرب الأمريكية على أفغانستان عام ٢٠٠١م يقول:

«إن الحرب الحقيقية في المنطقة الإسلامية هي في المدارس؛ لذلك يجب أن تفرغ من حملتنا العسكرية - (على أفغانستان) - بسرعة.. لتعود مسلحين بالكتب.. لينمو جيل جديد، يقبل سياساتنا، كما يقبل شظائرننا. وإلى أن يحدث هذا لن نجد لنا أصدقاء هنا» (١).

ولم يقل أحد بضرورة أن يبصر الغرب هذا القننى في عيوبه الثقافية التي يتنظر بها إلى الإسلام!

(١) صحيفة (وول ستريت) الشهيرة عن ٢٥ / ٢١ / ٢٠٠١م.

إن الأكاذيب والمغالطات والمفتريات - ضد الإسلام - في الكتب المدرسية الغربية - التي تكون عقول الناشئة في البلاد الغربية - قد ملأت صفحات ثمانية مجلدات، أنجزها مشروع بحثي جاد، أشرف عليه البروفيسور عبد الجواد شلاتوني وطبعتها جامعة «كولين» - بألمانيا - في أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن العشرين، فلم لا يتحدث أحد عن ضرورة المراجعة لهذا «الخطاب التعليمي المملئ بالمفتريات ضد الإسلام والمسلمين»؟

وإن الغربيين الذين يناصيون الإسلام العداء، يتحدثون عن الأصول «اليهودية - المسيحية» انحسارهم الغربية، فلم لا ينظرون إلى العنصرية الدموية التي يطنح بها الخطاب اليهودي ضد جميع الأعيان.. ذلك الذي تحول الفشوى النحاشامية على أرض فلسطين إلى سياسات للإبادة والاضغاليات، والتطهير العرقي، والإحلال الاستيطاني على حساب العزل والأبرياء من الفلسطينيين؟

ألم يقرءوا - في أسفار العهد القديم -:

«وكلم الرب موسى في عربات موب على أردن أريحا قائلاً: كلم إسرائيل وقل لهم: إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان.. تطردون كل سكان الأرض من أمامكم.. تملكون الأرض وتكنون فيها.. وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين

ثم.. هل يمكن أن يدخل شيء من هذه الافتراءات
والأكاذيب والعنصرية في باب «حرية التعبير»؟

إن هذا الافتراء الغربي على الإسلام ومقدساته
سابق بقرون خيال على معرفة الغرب لحرية التعبير

وهذه الفلسفة الوضعية العلمانية التي أسس عليها الغرب
- منذ عصر النهضة - حريته في التعبير، إنما تقوم على
«نسبية الفكر الإنساني»، ورفض «المطلقات»، فلم تكون حرية
التعبير الخاصة بإهانة رموز الإسلام ومقدساته - وهي
موقف وفكر إنساني - من «المطلقات»، التي لا تقبل النقاش؟
ولم لا يستخدم الغرب - كل الغرب - هذه الحرية في
التعبير عندما يكون الأمر خاصاً بتقذ اليهود، أو الصهيونية،
أو حتى السياسات الاستعمارية الإسرائيلية؟ فهذا - وهذا
فقط - يفسى الغرب حقه في حرية التعبير، ويحول
الممارسات اليهودية والصهيونية والإسرائيلية إلى «مطلقات» -
معصومة - تحول انتقاداتها إلى جرائم يعاقب عليها
القانون!

ثم.. هل يجيز الغرب - بحجة حرية التعبير - إعلان
المواطن الغربي كراهيته لوطنه، وأزواجه لمؤومه، واقتراءه

على تاريخه، فضلاً عن حرية الخيانة لهذا الوطن؟

ولم تكون حرية التعبير «مطلقة» ومقدسة.. ولا يجوز النقاش فيها عندما تكون خاصة بالافتراء على الإسلام ومقدسات المسلمين؟



١٨

لقد نهى الإسلام أهله حتى عن سب الأصنام التي يعبدونها المشركون، وذلك صيانة للمعبود الحق عن سب الوثنيين، فقال - سبحانه وتعالى - في القرآن الكريم - وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلِهِمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام: ١٠٨).

ولقد آمن المسلمون ويؤمنون.. وصلوا ويصلون على كل أنبياء الله ورسله. كما آمنوا وصدقوا بكل الكتب السماوية، وليس فقط بالقرآن الكريم - الذي جاء مصدقاً لما سبقه من عطلق الذكر والوحي والكتاب بأمر الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله ورسوله ولم يكن لآحادهم شئ ضد الله ورسوله لا يفرق بين أحد من رسله (البقرة: ٢٨٥).

ولا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا اعتصم بكل أنوار

الآخرين.. وسأوى بين كل الآخرين في الحقوق والواجبات، إذ التكريم الإنهـى - في الإسلام - هو لطلاق النفس الإنسانية؛ لأن البشر، على اختلاف الشعوب والقوميات والأجناس والألوان والثقافات والحضارات، هم من نفس واحدة، تنوعت توجهاتهم وتميزت شرائعهم وثقافتهم وحضاراتهم ليتعارفوا ويتعايشوا يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير (تحررت ٢٣).

والمسلمون مطالبون - في الدولة الإسلامية - بتمكين غير المسلمين من إقامة عقائدهم - التي تكفر بالإسلام، وتمكينهم من الأمن والأمان على سائر مقدساتهم - وهكذا صنعت الدولة الإسلامية، منذ عهد النبوة وعلى امتداد التاريخ، شعاشت فيها جميع ألوان الشرائع والديانات - السماوية والوضعية - ولم يعرف تاريخ المسلمين حروباً دينية للإكراه على الاعتقاد، وينص العهد الذي قطعه رسول الله (ﷺ) لعنوم النصراني:

«إن أحمي جانبهم، وأذب عنهم وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السباح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي؛ لأنني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما

عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما
عليهم.. (١)

لكن غير المسلمين - وخاصة في الحضارة الغربية
ومؤسساتها الدينية والسياسية - لا يعترفون بالآخر.. أي
آخر.. وخاصة إذا كان هذا الآخر هو الإسلام والمسلمون!

إن الحضارة الغربية - بشهادة العلماء المتصفين من
أبنائها - تتمحور حول ذاتها، ولا تعترف بالآخرين، وبعبارة
المستشرق الفرنسي «مكسيم رولنسون» (١٩١٥م - ٢٠٠٤م):

«فإن الظاهرة التي لعبت الدور الأكبر في تحديد طبيعة
النظرة الأوروبية إلى الشرق.. هي التمرکز حول الذات. وهي
صفة طبيعية في الأوروبيين. كانت موجودة دائماً، ولكنها
اتخذت الآن - في ظل الإمبريالية الأوروبية - صيغة تتسم
بالازدراء الواضح للآخرين...» (٢)

أما عن إنكار المؤسسات الدينية الغربية للإسلام - الذي
يعترف بكل الكتب.. والشرائع.. والديانات - فيكفي أنها لا
تزال - حتى هذه اللحظات - تنكر أن يكون الإسلام ديناً
سماوياً.. وأن يكون القرآن وحياً إلهياً.. وأن يكون رسولاً

(١) (مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة)، ص ١١١ وما بعدها.

تتقيق: د. محمد حميد، الله أحميد أطوى.. وثيقة القاهرة ١٩٥٦.

(٢) د. محمد عمارة (الإسلام في عيون غربية: بين اقتراح الخلل وإنساق العجز).

ص ٦١-٦٢، طبعة دار الشرق، القاهرة ٢٠١٥.

الإسلام (ﷺ) نبياً ورسولاً. وهى - بذلك الجحود والإنكار -
تؤسس لهذه الافتراءات التى توالى وتتوالى على الإسلام،
منذ ظهوره، وحتى هذه اللحظات!

نقد عقد - بالقاهرة.. فى فندق «شيراتون المطار» -
مؤتمر للحوار الإسلامى المسيحى، فى ٢٨، ٢٩ من أكتوبر
٢٠٠٧م، ولما جاءت لحظة التوقيع على «البيان الختامى»
ورأى فيه مندوب القاتيكان - القس خالد أكشة - ومندوب
مجلس الكنائس العالمى - الدكتور طارق متري - عبارة:
«الديانات السماوية.. والقيم الربانية..» رفضاً للتوقيع على
البيان، وقالوا: «إننا لا نعترف بالإسلام ديناً سماوياً، ولا بالقيم
الإسلامية قيمةً ربانية!»

وساعتها تساءل الدكتور يوسف انصار صاوى - وكان
مشاركاً فى هذا الحوار - عن جدوى الجلوس معاً.. مع عدم
الاعتراف المتبادل، والقبول المتبادل!

هكذا.. وحتى هذه اللحظات.. يرفض الغرب الحضارى..
والدينى الاعتراف بالآخر الإسلامى - الذى بعثرف بكل
الزوار الآخرين!

(١) صحيفة (الأسبوع) القاهرة فى ٤ من نوفمبر ٢٠١١م، وصحيفة (مقتدى) القاهرة
فى ٦ من نوفمبر ٢٠١١م، وصحيفة (العالم الإسلامى) مكة المكرمة فى ١٦ من
نوفمبر ٢٠١١م.

ومع ذلك يبتزوننا.. ويفترون علينا - صباح مساء -
زاعمين أننا نحن الذين نضيق صدورنا بالآخرين.



تلك إشارات - مجرد إشارات - لبعض الوقائع والحقائق
التاريخية المشاهدة؛ على أن ما تواجهه - نحن المسلمين -
من إهانات عرقية موجهة إلى مقدسات الإسلام والمسلمين..
ليست أحداثاً عارضة.. ولا منفردة.. ولا معزولة.. ولا حديثة
الوقوع.. وأن القضية ليست رسمياً «كاثوليكيّاً» لشركته
صحيفة «بولانديس بوستن» الدانماركية في ٢٠ من سبتمبر
٢٠٠٥م. وتناقلته عنها، بعد ذلك، العديد من الصحف
الأوروبية.. وطبعته على القمصان، وارتدته دوائر صليبية!!
وانها نحن أمام موقف معاد لمقدسات الإسلام.. قديم..
وثابت.. وله تاريخ!



لكنهم ليسوا سواء

وإذا كنا قد أشرنا - في بداية هذه الدراسة - إلى أن الغرب ليس موقفًا واحدًا، وأن عداوة للإسلام ليس شاملاً، وأن المشكلة هي مع مشروع الهيمنة الغربي، ومؤسسته - الدينية والسياسية والإعلامية، وأن هناك من علماء الغرب وعفكره من أنصفوا الإسلام إنصافاً متعيزاً وممتازاً.. فيكفي البرهنة على هذه الحقيقة، أن تقدم ثلاث شهادات غربية.. أولاً تعترف بافتراء الغرب على الإسلام، وحبوه له، وإنكاره إياد.. وثالثيتها تنصف القرآن الكريم، ورسول الإسلام (ﷺ)، وهي ترد على افتراءات الغربيين، وثالثتها تضع الإسلام في المكانة العليا - التي لا تدانيها مكانة بين الديانات.

١ - لقد كتب المستشرق الفرنسي الحجة «جالد بيرل» (١٩١٠ - ١٩٩٥م)، وهو أحد أعمدة الثقافة الفرنسية والأوروبية.. كتب يقول، عن موقف الغرب من الإسلام:

«إن الإسلام، الذي هو آخر الديانات السماوية الثلاث، والذي يدين به أزيد من مليار نسمة في العالم، والذي هو قريب من الغرب جغرافياً، وتاريخياً، وحتى من ناحية القيم والمضاهيم.. قد ظل، ويظل حتى هذه الساعة، بالنسبة للغرب، ابن العم

المجهول، والأخ المرفوض، والمنكور الأبدي، والمبعد الأبدي، والمتهم الأبدي، والمشتبه فيه الأبدي^(١).

٢ - وكتب العالم الإنجليزي «مونتجمري وات» - وهو أحد أعمدة الثقافة الإنجليزية والأوروبية.. والذي اتفق من غيره أكثر من ثلث قرن في دراسة الإسلام - كتب يقول عن صدق القرآن الكريم.. وصدق رسول الإسلام (ﷺ) رداً على افتراءات الأوروبيين:

«إن القرآن ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، وإنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه، ومن هنا فإن محمد ليس أكثر من «رسول» اختاره الله لحمل هذه الرسالة، إلى أهل مكة أولاً، ثم لكل العرب، ومن هنا فهو قرآن عربي مبين».

إنني أعتقد أن القرآن، بمعنى من المعاني، صادر عن الله، وبالتالي فهو وحى..

إننا نؤمن بصدق محمد وإخلاصه عندما يقول: إن كلمات الله ليست نتيجة أي تفكير واع منه، وربما كانت الملامح الأساسية للوحى يمكن اختصارها في العناصر الثلاثة الآتية:

(١) من حيث جاك بيرك في ٢٧ / ٦ / ١٩٩٥ م مع حسونة المصباحي حول العرب والإسلام في نظر المستشرق الفرنسي جاك بيرك، ضخمة (الشرق الأوسط) لندن في ١ / ١١ / ٢٠٠٠ م.

١ - أن الكلمات المنزلة على محمد كانت تحضر في عقله الواعي.

٢ - وأن تفكيره الشخصي لم يكن له دور في ذلك.

٣ - وأن يقيمتا جازما كان يمتلك شواهد بأن هذه الكلمات هي من عند الله.

لقد وجد محمد الكلمات، أو المحتوى الشفهي حاضرا في وعيه، فلما تمت كتابته شكل النص القرآني الذي بين أيدينا، وكان محمد واعيا تماما بأنه لا دخل لتفكيره الواعي في هذه الرسالة القرآنية التي تصله، وبعبارة أخرى فقد كان يعتقد أنه يمكنه أن يفضّل بين هذه الرسالة القرآنية وبين تفكيره الواعي. الأمر الذي يعنى أن القرآن لم يكن بأية حال من الأحوال نتاج تفكير محمد.. إنه لا ينبغي النظر إليه باعتباره نتاج عبقرية بشرية.

وفي الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمد لم يتلق وحيا، وعن الأفكار الشبيهة.. وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناء على وحي نزل عليه. فمن الصعب أن نتصور، (زيد بن ثابت ١١ ق.هـ - ٤٥ هـ / ٦١١ - ٦٦٥ م)، أو أي مسلم آخر يقوم بهذا العمل.. ومن هنا فإن كثيرا من السور قد اتخذت شكلها الذي هي عليه منذ أيام محمد نفسه.. والقرآن كان يسجل فور نزوله.

وعندما تحدى محمد أعداءه بأن يأتوا بسورة من مثل السور

التي أوحيت إليه، كان من المفترض أنهم لن يستطيعوا مواجهة
التحدي؛ لأن السور التي تلاها محمد هي من عند الله، وما كان
ليُشتر أن يتحدى الله. وليس من شك في أنه ليس من قبيل
الصدفة أيضًا أن كلمة (آية) تعني علامة على القدرة الإلهية.
وتعني أيضًا فقرة من الوحي...^(١)

٢ - أما المستشرقة الألمانية «الدكتورة سيجيريد هونكة»
فلقد كتبت تقول:

«إن الإسلام هو - ولا شك - أعظم ديانة على ظهر الأرض
سماحة وإنصافًا، نقولها بلا تحيز، ودون أن نسمح للأحكام
الخطالة أن تلطخه بالسواد، وإذا ما نحينا هذه المغالطات
التاريخية الأثمة في حقه، والجبل البحت به، فإن علينا أن
نتقبل هذا الشريك والصاديق: مع ضمان حقه في أن يكون كما
هو...»^(٢)

مكنا شهد - ويشهد - كثير من علماء الغرب، فينصفون
الإسلام إنصافًا يجب أن يتعلم منه المسلمون... ويتسلحوا به
في الحوار مع المفتريين - من الغربيين - على الإسلام.



(١) فونتجمير وآله (الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) ص ٣٥، ٣٣، ١٧، ٢٩.

٢٠٦، ٢٢ - ٥٤، ١٩١، ٢٣، ٦١، ١٢٩، ٦٣، ١٣٩، ٨٣، ترجمة: عبد الوهاب عبد

الله الشيخ، طبعة القاهرة - مكتبة الأسرة ٢٠٠١م.

(٢) سيجيريد هونكة (الله ليس كذلك) ص ١٥١.

وبعد..

إنها - إذن - معركة لها تاريخ..

وإذا كانت الجماهير تغضب عندما تُهان مقدساتها.. فإن هذا الغضب - مع مشروعيته، وأهميته، بل ووجوبه، ليس غير الحل.. وليس هو العلاج للمرض المستكن في الثقافة الغربية تجاه الإسلام..

وإنما الحل والعلاج لدى:

١ - النخبة الفكرية: التي يجب عليها أن «ترب العقل الإسلامي» وأن تقدم للإنسان الغربي مشروعاً فكرياً يعرّفه بحقائق الإسلام - الدين.. والحضارة.. والتاريخ - لتحرر عقل هذا الإنسان من مخزون ثقافة الكراهية السوداء الموروثة والمستكن في التراث الغربي عن الإسلام ومقدسات المسلمين، وليكن ذلك في صورة مشروع: «الكتاب الإسلامي»، تعرّف بحقيقة الإسلام، تترجم إلى مختلف اللغات الغربية الحية والمهتمة..

وأيضاً من خلال الحوار الجاد مع مؤسسات العلم والفكر والتعليم والثقافة الغربية، الحوار الذي يجب أن نعد له أهل المصادريين عليه، والمخلصين له.. والذي يكشف للعرب - من

خلال حقائق الإسلام، وشهادات المنصفين من علماء الغرب - عن الأكاذيب والأغاليط والأخطاء التي تراكمت في التراث الغربي والثقافة الغربية عن الإسلام والمسلمين، فيسأله: «شهد شاهد من أهلها» نستطيع أن نفتح عيون الغربيين على حقائق الإسلام.. وعلى الافتراءات الغربية - التاريخية.. والحديثة.. والمعاصرة - على الإسلام.

وبذلك - وحده - نحاصر الجهود المنظمة لمؤسسات الهيمنة الغربية في الافتراء على الإسلام، ويكون العلاج «المرض» وليس الوقوف - فقط - عند «العرض».

٢ - ولدى النخبة الحاكمة في ديار الإسلام، التي يجب عليها أن تسعى في الجمعية العامة للأمم المتحدة - والشعوب فيها أغلبية مضمونة - لاستصدار قرار ملزم - يوافق عليه مجلس الأمن الدولي - باحترام جميع المقدسات الدينية، لكل الأديان التي تؤمن بها الأمم والشعوب.

كما يجب على هذه النخبة الحاكمة أن «ترتب البيت الإسلامي»، وذلك بتحرير ديار الإسلام من القواعد العسكرية الغربية التي تنقض من سيادتنا وحريتنا وكرامتنا.. وتحرير البحار والمحيطات في عالم الإسلام من الأساطيل الغربية.. وتحرير ثروات العالم الإسلامي من النهب الاستعماري الغربي... فيبدون «قرتيب البيت

الإسلامي.. وتعظيم إمكانات و«أوراق الضغط» التي تملكها
الأمة الإسلامية لن يحترمنا الآخرون بأي حال من الأحوال.



تلك هي «المشكلة.. والداء».. وهذا هو «الحل والدواء».

وصدق الله العظيم: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِةٌ
يَلُوفُونَ أَيْتَ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٧) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
أُولَئِكَ مِنْ الصَّاحِحِينَ (١١٨) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْثِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
بِالْمُنْفِيِّينَ (١١٩) وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَّبِعُوا أُمُورَهُمْ
لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَيُفْسِدُوا فِيهَا ثُمَّ يَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يَعْلَمُونَ
رَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (١٢٠) لَيْسَ لِلَّهِ الْخَبِثُ مِنَ الطَّيِّبِ
وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمهُ جَمْعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) (الأنفال: ١٢٦، ١٢٧) ومن أظلم من افترى على الله
الكذب وهو يدعى إلى الإسلام والله لا يهدي القوم الظالمين (٢٧)
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْرَانِهِمْ وَاللَّهُ مَعَهُ نُوْرٌ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٢٤)
هو الهدى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو
كره المشركون (٢٥) (الصف: ٧ - ٨).



المراجع

- (مزيد من الحقائق والتفاصيل حول موضوع الدراسة.. يمكن الرجوع إلى كتابنا)
- ١ - الغرب والإسلام. ابن الخطبة وابن السوادة طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
 - ٢ - الإسلام والآخر، من يعرف بغيره ومن ينكره؟ طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٤م.
 - ٣ - قرآنه لتلافة بين العرب والإسلام طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٢م.
 - ٤ - الإسلام في عيون عربية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٥م.
 - ٥ - الأصولية بين العرب والإسلام، طبعة دار الشروق، ١٩٩٨م.
 - ٦ - الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ٧ - الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.
 - ٨ - الحضارات العاشية: ندائع أم منافع، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٨م.
 - ٩ - صراع القيم بين الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.
 - ١٠ - مستقبل الجالية الإسلامية والعامة العربية طبعة نهضة مصر، ٢٠٠٠م.
 - ١١ - محاضرات العودة على الهوية الثقافية، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٨م.
 - ١٢ - ابن رشد بين الغرب والإسلام، طبعة نهضة مصر، ١٩٩٧م.
 - ١٣ - الفاروق الجديد على الإسلام، طبعة دار التراث، ١٩٩٨م.
 - ١٤ - الغزو التكريوي وهم أم حقيقة؟ طبعة دار الشروق، ٢٠٠٣م.
 - ١٥ - سقوط العلم العلمانية، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ١٦ - الإسلام بين التمييز والتمييز، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٢م.
 - ١٧ - انتحار الماركسي للإسلام، طبعة دار الشروق، ٢٠٠٣م.
 - ١٨ - هذا هو الإسلام - سلسلة صدرت فيها خمسة كتب - طبعة مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٦م.

الفهرس

٥	هذه الدراسة لماذا؟
٧	تعهد
١٤	فصل جديد.. وليس الأخير!
١٨	ليس عرباً واحداً
٢٩	عداء.. وإهانات لها تاريخ
٥٦	لكنهم ليسوا سواء - (١) -
٦٠	وبعد
٦٣	مراجع
٦٤	الفهرس

هذا الكتاب

فصل جديد .. وليس الأخير في مسلسل العداوة القوي للإسلام، وتعهد إهانة مقدساته، وفي المقدمة منها رسالة العظم، وقرآن الكريم، وهو يوضح أن هذا العداوة والافتراء له تاريخ سابق حتى على علمنة الفكر الغربي والمجتمعات الغربية.

وليس المقصود من هذه الدراسة أن تكون دعوة للكراهية الغرب، وإنما هي جهد محقق لمعالجة جذور الكراهية، التي تنميتها وترعاها مؤسسات الهيمنة الغربية ضد الإسلام.

وتسلط الدراسة الضوء على الوقائع التي تسمم العلاقات بين الغرب والإسلام، والتي تجعل الحوار بينهما أشبه ما يكون «بحوار الطرشان».



مكتب من مركز الإعلام العربي

ص.ب. 93، القوس - الجيزة - مصرات 202 / 3833351 - 202 / 3844422، فاكس 202 / 3851751

البريد الإلكتروني: Email.majma@arabcenter.com